أهم مراكز تجارة الصحراء المغربية ودورها فى قيام الكيانات السياسية

فى القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادى عشر للميلاد

د/حسن خضيرى أحمد
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادى

أهم مراكز تجارة الصحراء المغربية
ودورها فى قيام الكيانات السياسية
فى القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادى عشر للميلاد

تمهيد:-

استشرقت مراكز تجارة الصحراء المغربية عصرًا زاهرًا فى القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادى عشر للميلاد، حيث أسهمت بدور كبير ومباشر فى عمليات التبادل التجارى بين الأقطار المتاخمة لها شمالاً وجنوبًا، وفى تغطية الأسواق الإفريقية بما تحتاج إليه من المنتجات، ولا سيما الذهب والرقيق، الذى كان تجارة دولية معروفة فى ذلك الوقت(١).

على أن محاولات الجيوش العربية للاستيلاء على أطراف الصحراء والسيطرة على مدن المرافئ المرتبطة بالتجارة الصحراوية منذ بداية الفتح العربى لبلاد المغرب، يبرز بجلاء أهمية الدور الاستراتيجى الذى تلعبه هذه المراكز التجارية فيذكر ابن عبد الحكم أن عقبة بن نافع بعد أن تم له فتح زويلة سنة ٤٦ هـ/ ٦٦٦م(٢)، بعث جيشًا إلى

---

(1) pekka Masonen: "Trans – Saharan Trade and the West African Discovery of the Mediterranean World (The third Nordic Conference on Middle Eastern Studies, Finland, 1995 (116 –42) pp. 117 – 119.

A. Bathily., "Relations between the different regions of Africa" in M.El Fasi (editor), General History of Africa, III, Africa from the seventh to the Elventh century, Calfornia, 1981, p.745.

(٢) زويلة: مدينة كبيرة قديمة فى الصحراء بها جامع وحمام وأسواق، ومنها يدخل إلى بلاد السودان ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية. (البكرى، أبو عبد الله بن العزيز الموسى (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): = كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندرى فيرى، تونس ١٩٩٢، جـ٢، ص٦٥٧ ـ ٦٥٩، مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار، لكاتب مراكشى من =

غدامس[١]، حتى دانت له بالطاعة[٢]، ويضيف ابن أبى دينار [٣] أن عقبة بن نافع "بلغ فى غزوته هذه إلى بلد السودان".

كما عول عقبة بن نافع فى ولايته الثانية سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠م، على أن يتوغل فى المغرب الأقصى، حتى وصل إلى السويس الأدنى والسويس الأقصى إلى منتهى بحر الرمل، وجاس خلال ديار لمتونة فى الصحراء[٤]، وفى سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠م، بعث القائد العربى موسى بن نصير بطلائع جيشه إلى السويس الأدنى، "فوطئهم وسباهم، وأدوا إلى الطاعة، وولى عليهم واليًا من قبله"[٥]، واكتفى ببسط سيطرته على المدن تاركًا للجماعات والقبائل المحلية استقلالها وسلطة أمرائها، لهذا ظلت سلطة العرب تمارس بعيدًا عن المناطق الداخلية، وخصوصًا منها جنوب المغرب والصحراء[٦]، وفى أثناء ولاية عبد الله بن الحبحاب سنة ١١٦ هـ/ ٧٣٤م، أرسل جيشًا بقيادة عبيد الله بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى إلى السوس وأرض السودان "فظفر بهم ظفرًا، وأصاب ما شاء من ذهب"[٧]،

=كتاب القرن السادس الهجرى، نشر وتحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٥ .

(١)غدامس: مدينة فى الصحراء، على بعد سبعة أيام من جبل نفوسة، وأهلها بربر مسلمون، ومنها يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان. (البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٦٦٠، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص١٤٥، ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د.ت)، جـ٣، ص٧٧٤.

(٢) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١١ هـ/ ١٩٩٩١م، ص١٩٦.

(٣) ابن أبى دينار، أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م): المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، بيروت ١٩٩٣، ص٤٢.

(٤) ابن أبى دينار: المؤنس، ص٤٢ ـ ٤٣، السلاوى، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدى المؤلف، الدار البيضاء ١٩٥٤، جـ ١، ص٨٢. (يذكر ابن عبد الحكم أن ولاية عقبة الأولى كانت سنة ٤٦ هـ/ ٦٦٦م ثم عزل عقبة فى سنة ٥١ هـ/ ٦٧١م، غير أنه لم يمكث طويلاً، بعيدًا عن إفريقية ، إذ إنه عنما تولى يزيد ابن معاوية الخلافة عينه فى سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م)،"فتوح مصر وإفريقية، ص ١٩٤ ـ١٩٨".

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٠٥، السلاوى: الاستقصاء، جـ١، ص١٩٦.

(٦) ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة، الرباط ١٩٨٨، ص٣٥.

(٧) ابن عبد الحكم: فتوح مصر،ص٢١٧.

ولعل هذا يفسر بعد نظر القادة العرب، فى محاولاتهم السيطرة على مراكز ومسالك تجارة الصحراء، لما لها من دور خطير فى الواقع الاقتصادى والسياسى، وإن كان هذا الواقع لا يتناقض مع ظاهرة تغلغل الإسلام الذى انتشر عبر الصحراء على أيدى التجار من زناتة وصنهاجة أنفسهم[١]، بيد أن استمرار تدفق ذهب السودان عبر المسالك الصحراوية، جعل القوى السياسية فى المغرب تطمح فى بسط سيطرتها على هذه التجارة.

ولم يلبث الخوارج الصفرية، أن أسسوا فى أول الصحراء المغربية مدينة سجلمسة سنة ١٤٠ هـ/ ٧٥٧م، واتخذوها حاضرة لدولتهم [٢]، على أن التوغل باتجاه الصحراء، جعل منها فسطاطًا أماميًا للقوافل القادمة من السودان وإليه والحاملة للتبر والرقيق وجلود الحيوانات التى تحتاجها أسواق المغرب والأندلس[٣]، هذا فضلاً عن موقعها الاستراتيجى الذى يتوسط الطرق الأطلسية للصحراء، جعل منها العاصمة الأولى للضفة الشمالية للصحراء لقرون عديدة[٤].

وليس من قبيل الصدفة، أن ينجح الأدارسة فى إقامة دولة وكيان سياسى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى[٥]، وتتضح توجهات الدولة الأدريسية للسيطرة على مسالك تجارة الصحراء، فيؤسس عبد الله بن إدريس بن إدريس مدينة تامدلت كمركز تجارى متقدم، على أبواب مناجم الفضة، يقول البكرى[٦]:".. وبها معدن فضة غزير كثير المادة"، ويواصل الأدارسة مد نفوذهم حتى يصل إلى منطقة زاغة على نهر النيجر، والتى سماها ابن خرداذبة ببلاد زاغى بن زاغى[٧].

---

(١) ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة، الرباط ١٩٨٨، ص٤١.

(٢) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٣٦ ـ ٨٣٧، السلاوى: الاستقصا، جـ١، ص١٢٤ وراجع: محمود إسماعيل عبد الرازق (الدكتور): الخوارج فى المغرب الإسلامى، القاهرة ١٩٨٦م.

(3) Boville, E. W.: The Golden Trade of the Moors, Oxford University press,1968, pp.81 –82.

(4) pekka: Trans – Saharan Trade,p,5.

(٥) ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٢٥ وراجع: حسين مؤنس (الدكتور): معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ١٩٨٠، ص١٠٩ـ١١١.

(٦) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٥٥، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص٢١٣.

(٧) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفى حوالى ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م): المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص٨٩، المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٩٦م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبنانى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جـ١،ص١٤١.

ولا شك أن هذا التوجه من قبل الدولة، كان معناه فى الواقع السيطرة على الشريان الحيوى لتجارة الذهب، ضمانًا لمصالحها وتوازنها التجارى والاقتصادى، ومن هنا نشأ صراع طويل بين القوى السياسية فى بلاد المغرب، حول السيطرة على مراكز تجارة الصحراء بوجه عام ينوء به مثل هذا البحث فسوف نكتفى بدراسة نموذج منها بوجه خاص، واخترنا لذلك مدينة سجلماسة كموقع متقدم لهذه المراكز التجارية وذلك لأهميتها الخاصة.

سجلماسة كنموذج

تندرج سجلماسة فيما تسميه المصادر التاريخية بلاد القبلة، وهو اصطلاح عام يطلق على مناطق واسعة من الجنوب المغربى، واقتصر مدلوله على منطقة درعة وسجلماسة، ويطلق المقدسى[١]، ويتبعه ابن الوزان [٢] لفظ إقليم على سجلماسة، بينما استخدم ابن سعيد المغربى [٣]لفظًا مغايرًا حين قال: "وفى شرقى درعة مدينة سجلماسة، وهى قاعدة ولاية مشهورة، حيث الطول ثلاث عشرة درجة واثنتان وعشرون دقيقة، والعرض ست وعشرون درجة وأربع وعشرون دقيقة"، ومن الواضح أن مفهوم الولاية أوسع وأشمل من مفهوم الإقليم، فهل يتعلق الأمر هنا باتساع مجالات نفوذ سجلماسة على حساب المناطق؟

ويبدو أن سجلماسة طبقًا لأقوال الجغرافيين العرب، كانت تضم الواحات الممتدة على طول وادى زيز، فقد ذكر الحسن بن الوزان، أن سجلماسة إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه، ويمتد على طول وادى زيز ابتداءً من الخنك من المضيق القريب من مدينة غارسلوان ونزولاً نحو الجنوب على مسافة مائة وعشرين ميلاً، حتى تخوم الصحراء الليبية[٤]، وعلى هذا فإن امتداد إقليم سجلماسة يناهز ١٣٠ كيلو مترًا من الشمال إلى

---

(١) المقدسى، شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن أحمد (ت/ ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢١٥.

(٢) ابن الوزان، الحسن بن محمد الوزان الزياتى (توفى حوالى سنة ١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، الرباط، ١٩٨٠، جـ٢، ص١٢٠.

(٣) ابن سعيد المغربى: على بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) : كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٢٤.

(٤) الحسن بن الوزان: وصف إفريقيا، جـ٢، ص١٢٠.

الجنوب، ولا يمكن تحديد المسافة التى كان يمتد عليها إقليم سجلماسة، اعتمادًا على رواية الحسن بن الوزان ومن سبقه من الجغرافيين، لأن اهتمام كل هؤلاء اقتصر على المناطق الشمالية لمدينة سجلماسة دون أدنى اهتمام بالمناطق الواقعة إلى الجنوب والشرق والغرب منها، لأنها تدخل فى مجالات الصحراء، فقد ذكر البكرى فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، أن سجلماسة "ليس فى قبيلها ولا فى غربيها عمران"(١).

على أية حال ازدهرت الحركة التجارية فى سجلماسة فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، بفضل موقعها الاستراتيجى كهمزة وصل بين المراكز التجارية الواقعة على ضفتى الصحراء الكبرى، هذا فضلاً عن اتصالها بعالم ما وراء البحر المتوسط بحوضيه الشرقى والغربى (٢)وأدى اتساع دائرة الحضارة الإسلامية، وطابعها شبه الصحراوى كمركز حضارى للتنقل السريع أن غدت سوقًا تجاريًا كبيرًا، لتبادل بضائع الشمال بالجنوب، واجتذبت عددًا غير قليل من التجار من مناطق مختلفة، ومن أصول وانتماءات متباينة، يصفها المقدسى (٣) فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بقوله: "كثيرة الغرباء، موافقة لهم، يقصدونها من كل بلد، ومع ذلك ثغر فاضل برستاقها معادن الذهب والفضة .. ومعدن الذهب بين هذه الكورة وبلد السودان، وليس فى العالم أصفى ولا أوسع منه".

أما ابن حوقل (٤)، فقد أبدى انبهاره الشديد أمام عظمة وازدهار المدينة التى زارها فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، حيث أضاف: "و سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة .. وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة، وفوائد جسيمة، ونعم سابغة، قلما يدانيها التجار فى بلاد الإسلام سعة حال".

---

(١) البكرى: المسالك والممالك: جـ٢، ص٨٣٦.

(2) Boville: The Golden Trade of the Moors, p.61.

Bathily: Relations between the different regions, p. 738.

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص٣٣٦.

(٤) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن على البغدادى (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) : صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (د. ت)، ص٦٥.

ويأتى البكرى [١] فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى بتفصيلات أدق عن هذا المركز التجارى بقوله: "مدينة سجلماسة مدينة سهلية .. حولها أرباض كثيرة، وفيها دور رفيعة، ومبان سرية، ولها بساتين كثيرة، وهى على نهرين تمدهما عيون كثيرة، وجامعها متقن البناء.. ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة[٢]، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين فى صحراء غير عامرة".

ويبدى الإدريسى[٣] فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى حماسًا فى وصفه لهذا المركز التجارى بقوله: "مدينة كبيرة ، كثيرة العامر، وهى مقصد للوارد والصادر، كثيرة الخضر والجنات، رائقة البقاع والجهات، ولا حصن عليها، وإنما هى قصور وديار وعمارات متصلة".

ويصف ياقوت الحموى [٤] فى أوائل القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر للميلادى أهل سجلماسة بأنهم "من أغنى الناس وأكثرهم مالاً"، ويعلل ذلك "لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب، ولأهلها جرأة على دخولها"[٥]، ويدعم هذا الرأى ابن خلدون [٦] بقوله: ".. ولهذا نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس، وأكثرهم أموالاً لبعد طريقهم ومشقته، واعتراض المفازة الصعبة"، كما لاحظ ابن

---

(١) البكرى : المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٣٥ ـ ٨٣٧.

(٢) غانة: مدينة كبيرة فى جنوبى بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، يجتمع إليها التجار ومنها يدخلون فى المفازات إلى بلاد التبر (ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٨٤ ، وبينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، وهى أكبر بلاد السودان قطرًا، وأكثرها خلقًا، وأوسعها متجرًا. (الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت٨٦٦ هـ/ ١٤٦١م): كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠، ص٤٢٥).

(٣) الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت٥٤٨ هـ/ ١١٥٤م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م، جـ١، ص٢٢٥.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص١٩٢.

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ ٣، ص١٩٢.

(٦) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية (د. ت)، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

بطوطة فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، أن كل سكن فى سجلماسة يتكون من بستان يتوسطه بيت للإقامة، كما هو الحال فى الصين[١].

وتأتى الحفريات الأثرية [٢] بمواقع سجلماسة وجاو وتادمكة، وما اشتملت عليه من عملات ولقى، لتبرهن على الازدهار الاقتصادى الناتج عن حركة التجارة البعيدة المدى، وتفسر ظهور وتطور كثير من حواضر المغرب الإسلامى خلال تلك الفترة بالذات، ثم تأتى الشواهد الوثائقية لموسوعة الجنيزة فى بداية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، لتؤكد أقوال الرحالة والجغرافيين المسلمين عن سجلماسة[٣]، وتعكس فى الوقت نفسه تاريخ سجلماسة الاقتصادى فى تلك الفترة موضوع الدراسة، فقد ورد ذكر سجلماسة فى أكثر من موضع فى العديد من الرسائل التى بعث بها التجار اليهود من سجلماسة إلى وكلائهم وذويهم فى الفسطاط والإسكندرية[٤]، ونذكر على سبيل المثال وثيقة مؤرخة فى ٢٧ يناير سنة ١٠٤٨م من أحد تجار اليهود فى سجلماسة ، نقتبس فقرات منها: ".. فى خلال الأيام القليلة القادمة، سوف تتحرك القافلة من سجلماسة .. وسوف أرسل لك بعض الأشياء مع أبى القاسم عبد الرحمن[٥]، هذا فضلا عن العديد من الرسائل المرسلة صحبة تجار من سجلماسة إلى أبى ذكرى بن يوسف كوهين السجلماسى، وهو وكيل تجار الفسطاط الذى كان يحتفظ بروابط قوية مع موطنه فى سجلماسة، وفى رسالة أخرى: "لقد وصلت توًا من المرية[٦]، بأسبانيا، لقد أرسل لى شريكك من فاس

---

(١) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ص ٦٣٤.

(٢) تم العثور على دنانير ذهبية ضربت فى سجلماسة يرجع تاريخها إلى عصر الدولة المدرارية وعصر دولة المرابطين. (راجع العملات الذهبية الإسلامية WWW. Islamic Coins.net) وكذلك ملاحق البحث ص٣٨، ٣٩.

(3) S.D. Goitein: Letters of Medieval Jewish traders, Princetion press, 1973, pp. 14, 25,

(4) S.D. Gitein: A Mediterranean Society of the High idle Ages, New York, 967, I, p.279.

(5) Gotien: Letters of Medieval Jewish Traders, P. 151.

(٦) المرية: مدينة على البحر فى الأندلس، كان بها من كل الصناعات كل غريبة، وبها كل صنوف أنواع الحرير، وآلات النحاس والحديد إلى سائر الصناعات، وبها من فواكه واديها الشىء الكثير، وتقصد إليها المراكب من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً، ولا أتجر منهم فى

بالمغرب، ترباسًا ذهبًا لأشترى به ذهبا لك، وإنى أعتقد أن هذه الفكرة غير طيبة، وإنى "مرسل لك الذهب كما هو .. "[١]، وقد نجد فى بعض الرسائل إشارات مثل تلك التى وردت فى الخطاب التالى: "إذا كانت هناك قافلة، وكان يسافر فيها مسلمون مؤتمنون، تكرم بإرسال البضائع معهم"[٢].

ويرى أحد الباحثين [٣] أن الذى جذب هؤلاء التجار إلى سجلماسة، لم يكن غناها فحسب، وإنما جذبهم إليها كثرة الذهب فى غربها، ولذا وجدنا فى سجلماسة كثيرًا من التجار الآسيويين الذين جاءوا إليها من نيسابور وسمرقند، وواسط والبصرة، وغيرها، والذين قاموا بدور نشيط فى تجارة الشرق[٤].

وهكذا غدت سجلماسة فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، أكبر مستودع للذهب الإفريقى، مما أضفى على اسمها طابعًا أسطوريًا، حيث كان يأخذ منها التجار مختلف السلع بثمن بخس، ويأتون بحمولة جمال كاملة من الذهب الخام[٥]، وانعكس ذلك بدوره على بلاد المغرب، حيث غمرها ذهب السودان، وأصبحت بلادًا غنية لدرجة أنه فرض على أهلها أن ينتشروا خارج أراضيها، ويقول أحد الباحثين[٦]:"لم يكن العامل السياسى وحده هو الذى حرك تجار المغرب نحو التجارة العالمية، ولكن ضغط اقتصاد البلاد الراسخ هو الذى مكن للدعاية الفاطمية أن تنتشر شرقًا"، وتذكر وثائق الجنيزة، أن

= جميع أنواع التجارات. (الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ٢، ص٥٦٢)، المراكشى، عبد الواحد المراكشى (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣، ص ٤٥٥).

(١) جواتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب د. عطية القوصى، الكويت ١٩٨٠، ص ٢١٤.

(٢) جواتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، ص ٢١٨.

(3) Goitein: The Cairo Geniza as a Soruce for the History of Muslim Civilization, (Studies

(4) Ibid, p.81.

(٥) ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة، ص٤٨ وراجع كذلك:

Pekka Masonen: Trans – Salaran Trade, pp.. 120 –122.

(٦) جواتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص ٢٧٠.

شواطئ شرق إفريقيا، وجنوب الجزيرة العربية، والهند وسيلان قد امتلأت بأناس جاءوا من طرابلس والقيروان والمهدية وتلمسان وسجلماسة[١].

على أن التجارة الكثيفة عبر الصحراء، لم تصبح أساسية ومنتظمة، إلا بعد أن أصبح العرب قوة يحسب لها وزنها فى الشمال الإفريقى، فالكثير من المراكز الرئيسية لتجارة الصحراء، مثل: سجلماسة، ونول لمطة، وزويلة، وغيرها كانت موجودة فى منتصف القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، ومع ذلك فإن التجارة الكثيفة لم تبلغ أوج ازدهارها إلا فى مطلع القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، بسبب ارتباطها بشبكة الطرق التجارية فى السودان الغربى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب ولادة المدن الجديدة على حافة الصحراء، مثل: أودغست[٢]، وكومبى صالح، وتادمكة[٣]، التى ارتبطت بحكم موقعها وبنيتها التجارية، بتجارة المسافات البعيدة[٤].

على أن أهم مرحلة اقتصادية عرفتها سجلماسة هى فترة ارتباطها بمدينة أودغست، حتى غدت معرضًا كبيرًا لتبادل بضائع الشمال بالجنوب، خصوصًا الملح والذهب. ويصف ابن بطوطة[٥]، تعامل السودان بالملح فى تغازى [٦]بقوله: "وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة، ويقطعونه قطعًا ويتبايعون به، وقرية تغازى على صغرها، يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر"[٧]. ومما يجدر ذكره أن ملاحظة

---

(1) Goitein: OP. Cit, p.81.

(٢) أودغست: بالفتح، ثم السكون وفتح الذال المعجمية والغين المعجمة، مدينة بين صحراء لمتونه والسودان، وهى مدينة عظيمة آهله بالسكان. (البكرى: المسالك، جـ٢، ص٨٤٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ١، ص٢٧٧).

(٣) تادمكة: فى بلاد السودان، وهى أشبه بلاد الدنيا بمكة المكرمة، وهى مدينة منيعة بين جبال وشعاب، وتجلب إليهم الذرة وسائر الحبوب من بلاد السودان، ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة. (مؤلف مجهول: الاستبصار، ص١٢٣، الحميرى: الروض المعطار، ص١٢٨ ـ ١٢٩).

(4) Enc., of Islam, art (Aoudaghost)

pekka: Trans – Saharan Trade, p. 123.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦٨٤.

(٦)تغازى: قرية صغيرة ضاربة فى الصحراء جنوب سجلماسة، بها مناجم الملح. (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦٨٤).

(٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص٦٨٤.

خصائص الجسم الاقتصادى، وشكل التغيرات التى استحدثها استغلال مناجم الملح، وخصوصًا منجم تغازى، ساعد بدوره على تكتيل وإدماج القبائل الصنهاجية فى مقاييس تجارية، عرفت تطورًا كبيرًا خلال هذه الفترة التى نحن بصددها فى هذه الدراسة. وقد ذكر البكرى أن قومًا من صنهاجة يقطنون على طوال الصحراء بين مدينة سجلماسة ومدينة غانا(١)، كما لاحظ ابن بطوطة أن كل سكان تغازى من صنهاجة، "ويصل السودان إلى بلادهن فيحملون منها الملح"(٢). أضف إلى ذلك أن الحركة الإنتاجية بين سجلماسة وأودغست، وغيرها من المراكز الواقعة على ضفتى الصحراء، ارتكزت أساسًا على نمو مستوى المواصلات ، والتوسع فى الاتصال التجارى(٣)، حيث بدأ استغلال مناجم الملح مع تحول الصحراء إلى محيط سفينته الجمل، الأمر الذى دفع إلى التطور السريع لمدينة أودغست(٤)، "وصار لها أسواق حافلة .. لا يكاد يسمع الإنسان صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس، وتجاراتهم إنما هى بالتبر ليست عندهم فضة"(٥). هذا فضلا عن موقع أودغست على مقربة من منجمى الذهب جالام Galam وبامبوك Bambouk شرق السنغال، مما جعلها توفر للأفارقة السود أهم وأعظم ما يحتاجون إليه من ملح وأثواب وخيول(٦)، وكان ذهب بامبوك أهم ما تجلبه القوافل المغربية فيما بين القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر الميلادى(٧)، مما حدا بأحد الباحثين (٨)إلى القول: "أن ثلثى تجارة الذهب المنقولة فى هذه الفترة فى منطقة البحر المتوسط، كانت عن طريق سجلماسة من مناجم الذهب جنوب الصحراء".

وهكذا توثقت العلاقات التجارية بين سجلماسة، وبلاد السودان وغيرها من المراكز التجارية، بفضل شبكة الطرق التى أسهمت بدور كبير ومباشر فى عمليات التبادل

---

(١) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٣٧.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦٨٤.

(3) A. Bathily: Relations, pp. 635 – 736.

(٤) ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة، ص٣٤.

(٥) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص٦٣ ـ ٦٤.

(6) Bovill: The Golden Trade, P.82.

(٧) إبراهيم حركات (الدكتور) : دور الصحراء الإفريقية فى التبادل والتسويق، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا ١٩٨١، ص٣٥.

(8) Pekka: Trans-Saharan Trade, PP. 124 – 125.

التجارى، وأصبحت طرق تجارة القوافل الصحراوية تكتسب بعدًا مهمًا فى النظام الاقتصادى الدولى منذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[١]، فقد بلغت حصيلة الضرائب المفروضة على هذه التجارة السودانية وحدها حوالى ٤٠٠,٠٠٠ دينار سنوى[٢]، وحتى تتضح لنا بوضوح تحركات القوافل التجارية من سجلماسة وفوق صفحة المغرب وعبر الصحراء، يجدر بنا معرفة الطرق والمسالك التى سلكتها تلك القوافل حتى نصل إلى تعريف شامل لبعض عوامل وخصوصيات البنية الاقتصادية والاجتماعية لمراكز تجارة الصحراء، ممثلة فى سجلماسة، وأهم هذه الطرق:

١- الطريق الممتد من سجلماسة إلى ولاتة[٣]، وهو من أقدم الطرق الممتدة بين شمال الصحراء ومناطق السودان، ويقود إلى مواطن الذهب فى السنغال والنيجر الأعلى، وقد سلك ابن بطوطة[٤]، هذا الطريق سنة ٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢م فى أثناء رحلته التى قام بها من سجلماسة، حيث مر بتغازى، حتى وصل إلى مدينة تكدا Takada[٥]، ومن هذه المدينة عاد إلى مدينة سجلماسة عن طريق إيرى ـ توات ـ سجلماسة[٦].

٢- طريق نول لمطة[٧] ـ سجلماسة ـ أودغست، ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق حيث يخرج من واحات السفح الجنوبى للأطلس الصغير، لينساب داخل منطقة مناخها أكثر اعتدالاً، وأقل قسوة من مناخ المناطق الداخلية بالصحراء، وينتهى هذا الطريق فى

---

(1) Goitein: Letters of Medieval Jewish, PP. 23 – 25.

(٢) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة (د.ت)، ص٢٥٥.

(٣) مدينة ولاتة فى شرقى السنغال الحالية، وذكرها ابن بطوطة إيوالاتن، وهو على خط عرض ١٧,٠٢ شمالاً، وخط طول ٦,٤٤ غربًا (راجع: حسين مؤنس "الدكتور"): ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف ١٩٨٠، ص ٢٢٦).

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨٤ ـ ٧٠٧.

(٥) مدينة تكدا تقع الآن فى أحواز جمهورية النيجر (حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، ص٢٣٥).

(٦) ابن بطوطة:رحلة ابن بطوطة، ص ٧٠٧ .

(٧) نول لمطة: من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، وهى مدينة كبيرة فى أول الصحراء على نهر كبير يصب فى المحيط، وعليه قبائل لمطة ولمتونة. (البكرى: المسالك، جـ٢، ص٨٥٤ – ٨٥٥، الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٨٤).

مدينة أودغست، حيث يتفرع هناك إلى طرق فرعية على هامش الصحراء، تصل بالبضائع إلى مدينة كومبى غانا[١].

٣- الطريق الذى يبدأ من أودغست مارًا بتامدلت ـ ايجلى، حتى يصل إلى سجلماسة، وقد نشطت حركة القوافل فى هذا الطريق منذ عهد الأدارسة، الذين تمكنوا من بسط نفوذهم، الذى وصل إلى منطقة زاغة على نهر النيجر[٢].

٤ ـ طريق تلمسان ـ سجلماسة ، ويذكر الإدريسى أن القوافل تسير فى هذا الطريق من تلمسان إلى فاس، ومن فاس إلى صفروى ـ تادلة ـ أغمات ـ بنى درعه، حتى ينتهى إلى سجلماسة[٣].

٥ ـ الطريق الشرقى (المصرى)، والذى يربط أسواق سجلماسة بمصر والمشرق، يمر بالواحات الداخلة، والكفرة، ثم يتجه إلى السودان الغربى، ومنها يتابع سيره إلى غانة وأودغست[٤]، ويعتبر هذا الطريق أقصر الطرق البرية، وأقربها مسافة بين مصر وسجلماسة لولا قلة الماء فى هذه الصحراء[٥]، على أن هذا الطريق عدل فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى إلى طريق سجلماسة، نتيجة لتواتر الرياح وترادف عدوان اللصوص على القوافل[٦]، وقد سمح النشاط التجارى الذى عرفته سجلماسة بتقوية التبادل بينها وبين عدد من المراكز التجارية الصحراوية الأخرى، مثل: غدامس، وتادمكة، وتوات، وجاو، وكوكو[٧].

على أن هذه الطرق تأثرت تأثرًا كبيرًا بالتغيرات التى طرأت على الخريطة السياسية لبلاد المغرب فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، والذى يعتبر بحق منعطفًا هامًا، لا فى الخريطة السياسية المغربية فحسب، بل فى ميزان القوى

---

(١) ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنة، ص ٥٠، وللمزيد من التفاصيل عن هذا الطريق راجع: Binger, Les Routs Commerciales Du Soudan Occidental, paris, 1886, p. 103

(٢) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٥١ ـ ٨٥٣.

(٣) الإدريسى: نزهة، جـ١، ص٢٤٩.

(٤) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص ٦٦٢ ـ ٦٣٢ Binger, op. cit, p.104

(٥) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص١٤٧.

(٦) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة ١٩٤١، جـ٢، ص٣٥٥.

(٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨٣ ـ ٦٩٠.

العالمية آنذاك، ولعل من أبرز تلك التحولات وأكثرها، تلك القطيعة السياسية والمذهبية بين الفاطميين فى مصر والدولة الزيرية فى إفريقية، وما ترتب عليها من هجرة بنى هلال التى أحدثت تبدلات وتغيرات عميقة فى هذه الفترة بالذات، ثم قيام دولة المرابطين[١]، وأصبح النشاط الاقتصادى الصحراوى يتركز فى إفريقيا الغربية، التى أصبحت على قول أحد الباحثين[٢]: "منطقة نافعة"، ومن الطبيعى أن تكون صنهاجة الجنوب أكبر مستفيد من هذا التحول، حيث أن تدهور الطرق التجارية بإفريقية، جعل الأهمية تنتقل نحو الطريق المار بديار صنهاجة، التى أصبحت تمتلك مفتاح الطريق نحو السودان[٣].

ومما يجدر ذكره أن رحلات القوافل التجارية، كانت تعمل متقاربة، حيث تخرج فى الشتاء ثلاث قوافل برية، تمر من سجلماسة، "أكبر محطات المغرب التجارية الصحراوية"[٤]، لتصل هذه القوافل إلى القيروان وطرابلس وبرقة حتى مصر[٥]، ولا غرو فى أن أهم مؤثرات ضعف الحركة التجارية الصحراوية، أو قوتها يتمثل فى مدى الضمانات الأمنية التى تتوفر للقوافل، كما أن على القوافل أن تؤدى إتاوات عن حق مرورها أو دخولها إلى أسواق الأراضى السودانية، هذا فضلاً عن حقوق مشابهة تؤدى فى المراكز التجارية الشمالية[٦].

على أن السلع كانت تتنوع وتختلف فى أسواق سجلماسة، حيث كان التبادل يشمل: الملح، والودع، والنحاس الأحمر والملون، والأكسية، والدرق اللمطية، وعمائم القطن، والتمر والحبوب[٧]، مقابل دقيق الذهب (التبر)، والعنبر، والعاج، والأبنوس[٨]، ويذكر الاصطخرى فى هذا الصدد أن عماد تجارة المغرب هو الذهب[٩]. ويضيف البيرونى[١٠]،

---

(1) Bovill: **The Golden Trade**, pp. 59 – 60, 77.78.

(٢) Pekka: **Tans – Saharan Trade**, p. 128.

(٣) ابن الوزان: وصف إفريقيا، الرباط ١٩٨٠،جـ١،ص ١٩٨. وراجع أشكال طرق التجارة، ص٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٤) جولتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص ٢١٩.

(5) Goitein: **The Gairo Geniza**, V.III, P. 81.

(٦) إبراهيم حركات: دور الصحراء الإفريقية، ص ٣٣.

(٧) البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص٨٦٦، ص ٨٧٢، الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٢٥.

(٨) نفس المصدر، جـ٢، ص ٨٧٦ـ ٨٧٧.

(٩) الاصطخرى، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت٣٥٠هـ/ ٦٩١م): المسالك والممالك، طبعة مصر١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٣٧.

(١٠) البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (ت ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م) الجماهر فى معرفة الجواهر، طبعة أولى، حيدر أباد ١٣٥٥ هـ، ص ٢٣٧ـ ٢٣٨.

أن أهم السلع المغربية التى كانت تفد إلى أسواق المشرق: "الذهب والنمور واللبود، وقد كان تجار اليهود فى أسواق سجلماسة، يسافرون من المشرق إلى المغرب "حيث يتاجرون بالذهب والديباج والخز" [١]. أما تجارة الرقيق فكانت من أسس التبادل التجارى بين مراكز تجارة الصحراء، وأقطار السودان، ومن محور سجلماسة ـ السودان، ، كانت الجوارى السوداوات يجلبن إلى السوق الأندلسية[٢]، هذا فضلاً عن الرقيق الأسود الذى عرف طريقه إلى أقطار المشرق[٣].

على أية حال ساهم النشاط التجارى فى مدينة سجلماسة فى مضاعفة التيارات التجارية والمالية، حتى "صار أهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالاً"[٤]، إلى حد أن ثروات التجار فى سجلماسة كانت تقدر فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بمائة ألف دينار[٥]، وكان الدينار الذهبى هو وحدة التعامل الرسمية المتداولة فى أسواق سجلماسة، وساعد على ذلك توفر مقادير الذهب اللازمة لدور الضرب، والواردة إليها من غرب إفريقيا[٦]، وكانت العملات فى بلاد السودان الغربى عبارة عن أصداف، وحلقات من النحاس، وقوالب من الملح[٧]، على أن تطور حجم التجارة، والزيادة الهائلة فى الحجم التجارى، يرجع إلى تطور سك المعادن والعملات، مما أدى إلى تطور أساليب تجارة المسافات البعيدة بصورة هائلة[٨]، ويبدو أن تجار سجلماسة عرفوا السفاتج[٩]، كوسيلة من وسائل

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٢) اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر (ت٤٤٠ هـ/ ٨٩٧م): كتاب البلدان، ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة، ليدن ١٨٩١، ص ٣٤٥، الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) إبراهيم حركات: دور الصحراء الإفريقية، ص ٣٤.

Bovill: **The Golden Trade**, p. 246.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص ١٩٢، ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٢٧٨.

(٥) ناعمى مصطفى: الصحراء، ص٤٨.

(6) De La Ronciere: **La Decouverte De L'Afrique au Moyen age**. T.J.Le Caire, 1934, pp. 146 – 147.

(٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨٤.

(8) A. Bathily: **Relations between the different**, p. 743

(٩) السفاتج: مفردها سنجة، وهى كلمة فارسية معناها ورقة مالية، أو خطاب ضمان، وكانت تكتب بواسطة الجهابذة والصيارفة فى البلاد الإسلامية، وكثر استعمالها خلال القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى. (الخوارزمى، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م) : مفاتيح العلوم، القاهرة (د.ت)، ص٥٨، وراجع: محمد جمال الدين سرور (الدكتور) تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥، ص١٦٣.

المعاملات المالية، وخاصة أنها تجعل أموالهم فى مأمن من اللصوص، وقطاع الطرق، لطول المسافة وبعد الطريق[١]، كما استخدم التجار الصكوك كوسيلة من وسائل التعامل التجارى فى البيوع ووفاء الدين، وشاهد ابن حوقل فى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، بأودغست صكًا كتب بدين على محمد بن أبى سعدون، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار[٢]، وهذا يدلنا على أن التعامل بالصكوك فى ذلك العصر، كان قد بلغ إلى مسافة بعيدة فى وسط الصحراء.

الدور السياسى لسجلماسة

اتسم القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بازدياد حدة التنافس والصراع بين القوى السياسية فى بلاد المغرب والأندلس، حول السيطرة على مراكز تجارة الصحراء، ومسالك تجارة الذهب بين بلاد السودان والمغرب الإسلامى، وتعددت أسباب هذا الصراع، وتباينت أشكاله، ويمثل الصراع الفاطمى ـ الأموى فى الأندلس، السمة البارزة فى تاريخ المغرب والأندلس، خلال هذه الفترة، وليس من سبيل المبالغة إذا قلنا إن هذا الصراع كان له جل الأثر على مجريات السياسة الداخلية والخارجية لكل من النظامين: الأموى السنى فى قرطبة، والفاطمى الإسماعيلى فى المهدية[٣]، ومن الصعوبة بمكان فهم كثير من قضايا السياسية الداخلية والخارجية فى تاريخ هاتين الدولتين، بمعزل عن دور العامل الاقتصادى فى ازكاء هذا الصراع، فلم يكن صراعًا مذهبيًا، أو سياسيًا من أجل السيطرة على أراضٍ جديدة، وفى نفس الوقت لم يكن صراعًا قبليًا تقليديًا بين قبيلتى صنهاجة وزناته، كما تصوره الكثير من المراجع الغربية الحديثة[٤]. لذلك كان من المفيد الكشف فى

---

(1) Bathily: Op. Cit, P. 744.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٦٥.

(٣) الحبيب الجنحانى (الدكتور) دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للمغرب الإسلامى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٦، ص ١٥٧.

(٤) جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى، ترجمة محمد عبد الحميد هيكل، الإسكندرية ١٩٩١، ص ١٤٥ ـ ١٥٢، ص ١٥٣ ـ ١٦٥.

=Levi – Provencal: **Histoire de L'Espagne musulmane**, Paris, 1950, T. 2, pp. 78 – 100, 148 –196.

H. Forunel: **Les Berbers Etude sur la Conquête de L'Afrique par les Arabes**, Paris, 1881, T. I, pp. 285 – 286.

هذه الدراسة عن دور العامل الاقتصادى من منطلق شمولى تراعى فيه تعددية الأسباب والمحيط.

لما تأكد عبيد الله المهدى (٢٩٧ ـ ٣٢٢هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٣٤م) من نجاح دعوته، فر من سلمية [١] متجهًا نحو المغرب، وبصحبته ابنه أبو القاسم، ونجح فى الهرب من الشام إلى مصر متخفيًا فى زى التجار[٢]، ولما وصل إلى قسطيلية[٣]، لم يشأ أن يلتقى بداعيته أبى عبد الله الشيعى هناك، وإنما يمم وجهه صوب سجلماسة حتى وصلها، وأقام فيها متخفيًا[٤]، ويحفظ لنا صاحب المجالس والمسايرات[٥]، نص الكلمة التى توجه بها المعز إلى أهل سجلماسة: " .. يا أهل سجلماسة، فعلتم ما فعلتم فى أيام المهدى بالله فعفا عنكم، وأحسن إليكم لحلوله، الذى كان فيكم، ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم"، ويفهم من النص أنه أقام فترة غير قصيرة بين ظهرانى أهل سجلماسة، بيد أن أمير سجلماسة ـ اليسع بن المنتصر ابن مدرار (٢٧٠ ـ ٢٩٧ هـ/ ٨٨٣ ـ ٩٠٩م)، توجس منهما خيفة، وجد فى طلبهما، وخاصة بعد أن أوعز إليه الخليفة العباسى بالقبض عليهما، فنقب عنهما، وقبض عليهما وأودعهما بالسجن[٦]، إلى أن أطلقهما أبو عبد الله الشيعى، عندما استولى على سجلماسة سنة ٢٩٧ هـ/ ٩١٠م[٧].

---

(١) سلمية: بفتح السين المهملة واللام وتشديد الياء بلدة عامرة من أعمال حمص الشام. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ٥ ، ص١١٣).

(٢) ابن خلدون: العبر، المجد الرابع، ص ٧٠، المقدمة، ص١٦، المقريزى، تقى الدين أحمد بن على(ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م): المقفى الكبير، ترجمة المهدى عبيد الله، تحقيق محمد اليعلاوى، حوليات الجامعة التونسية العدد ٥٢، ١٩٨٦، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) قسطيلية: اسم لعمل البلاد الجريدية، وهى بلاد واسعة، ومدن عديدة، ومن مدنها: توزر، والحمة، وتقيوس، ومدينتها العظمى توزر (البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٦٦٢، ٧٠٩، الحميرى: الروض المعطار، ص ٤٨٠).

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص١٦، السلاوى: الاستقصا، جـ١، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) القاضى النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت ٩٦٣هـ/ ٩٧٤م): كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى وآخرين، تونس ١٩٧٨، ص ٣٩٠، إدريس عماد الدين بن الحسن القرشى (ت ٨٧٢هـ/ ١٢٣٣م): عيون الأخبار وفنون الآثار: السبع السادس، تحقيق د. مصطفى غالب، بيروت ١٩٨٤، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٦) ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ٧٤، المقريزى: ترجمة المهدى عبيد الله، ص ٧٠ .

(٧) البكرى: المسالك، جـ٣، ص٨٣٩، ابن أبى دينار: المؤنس، ص ٧٠ ـ ٧١.

ويتساءل أحد الباحثين [١] عن سبب اختيار المهدى لسجلماسة دون غيرها من بلاد المغرب: "هل كان يطمح فى إقامة كيان سياسى فى هذه المنطقة، أم أنه كان يفكر فى السيطرة على مسالك تجارة الذهب؟"، ويبدو أن رحلة المهدى إلى سجلماسة، لم تكن عفو الخاطر، أو محض الصدفة، وإنما تمت وفق خطة دقيقة للدعوة، متصلة بالتعرف على مسالك تجارة الذهب بصفة خاصة، يدعم ما ذهبنا إليه نص مختصر لابن حماد [٢] يقول فيه: ".. إلى أن وصل (المهدى) إلى سجلماسة، إما بعلم سبق، وإنما بشىء اتفق".

اهتم عبيد الله المهدى بشئون الأندلس منذ البداية، ولعل إقامته بسجلماسة مكنته من التعرف عن كثب على الوضع فى الأندلس، وإلى أهمية المسالك التجارية التى تربط بينها وبين بلاد السودان [٣]، ومن أجل ذلك اتخذ الفاطميون الدعاية الشيعية فى الأندلس من جهة، والجاسوسية من جهة أخرى، وكان يقوم بتلك المهمة دعاتهم وعيونهم، الذين كانوا يخفون أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية [٤]، ومن بين هؤلاء العيون الذين أرسلهم الفاطميون إلى الأندلس، نذكر الرحالة البغدادى ابن حوقل، الذى اتخذ التجارة ستارًا يخفى وراءها هدفه الأساسى، وينعته ياقوت الحموى بالتاجر الموصلى [٥]، كما حاول الفاطميون استقطاب بعض الشخصيات الأندلسية إلى صفهم، فيحاول المهدى استغلال ثورة عمر بن حفصون الثائر فى جنوب الأندلس، فيساعدها، ويرتبط مع قائدها بعلاقات تعاون، هذا فضلا عن اعتراف ابن حفصون بزعامة المهدى، والدعاء له فى مساجد بلاده [٦]، وذكر أن المهدى

---

(1) Hrbek, K., "The emergence of the Fatimids" **Africa from the seventh to the eleveht century**, Heinemann, Calfornia, 1981, p. 318.

(٢) ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن على (ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٣١م): أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، الجزائر ١٩٢٧، ص٦ وما بعدها وراجع: الحبيب الجنحانى: دراسات فى التاريخ الاقتصادى، ص ١٧٦.

(3) Hrbek: **the emergence of the Fatimids**, pp.318 – 319.

(٤) أحمد مختار العبادى (الدكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، طبعة أولى، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص ٦٥.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ١ ص ٣٤٨، وراجع: أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب، ص٦٥.

(٦) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها، نشر وترجمة لافوينتى الكنتر، مدريد، ١٨٦٧، ص ١٥١، وراجع كذلك: دوزى: المسلمون فى الأندلس، ترجمة وتعليق د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، جـ١، ص٢٢٦.

أرسل له بضعة سفن محملة بالذخيرة والأسلحة، بيد أنها لم تصل لابن حفصون، فقد استولى عليها أسطول الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ/ ٩١٢ ـ ٩٦١م)[١].

ومن بين الشخصيات التى اصطفاها الفاطميون، القائد على بن حمدون بن سماك الجذامى المعروف بابن الأندلسى، الذى قدم إلى المغرب من الأندلس، واتصل بالخليفة المهدى، ثم بابنه القائم (٣٢٢ ـ ٣٣٤/ ٩٣٤ ـ ٩٤٥م) الذى عهد إليه ببناء مدينة المسيلة، ثم عقد له الولاية على بلاد الزاب، ووقف ابن حمدون مع الفاطميين، وأبلى بلاءً حسنا فى محنتهم مع أبى يزيد، حتى هلك سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م[٢].

أما فيما يتعلق بالتوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى، نجد الخليفة المهدى، يعهد لمصالة ابن حبوس الكتامى بتجريد حملة عسكرية سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٧م، بالمسير إلى بلد نكور لحرب سعيد بن صالح ـ أمير نكور ـ وبالفعل ينجح مصالة فى هزيمة سعيد بن صالح وقتله[٣]. أما الناجون من بنى سعيد وأهله، فقد عبروا إلى مالقة وبجانة، حيث أمر الأمير عبد الرحمن الناصر باستقبالهم ورعايتهم وإكرام وفادتهم[٤]. وتتمكن أسرة سعيد بن صالح من العودة بمساعدة قرطبة واسترداد عاصمتهم نكور فى نفس السنة، وأعلنوا ولاءهم لقرطبة[٥].

ولعل هذا الحدث يكشف عن بداية سياسة جديدة للأمويين فى الأندلس تجاه المغرب، ولا شك أن هذه السياسة، جاءت ردّا على الأهداف التوسعية الواضحة للفاطميين، فقد أدركت قرطبة الخطر الاقتصادى الذى يهددها، فيما لو نجح الفاطميون فى السيطرة التامة

---

(١) دوزى: المسلمون فى الأندلس، جـ١، ص٢٢٦.

(٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبى (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٩م): المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٣ ـ ٣٥، البكرى: المسالك والممالك، جـ٢، ص ٧٢٢.

(٣) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٧٧١، ص ٧٧٢، ابن عذارى المراكشى، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشى (كان حيًا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م): البيان المغرب فى أخبار المغرب، بيروت (١٩٤٧ ـ ١٩٥٠)، جـ١، ص١٧٥.

(٤) ابن عذارى: البيان، جـ١، ص١٨٠.

(٥) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٧٧٢.

على المسلك الغربى لتجارة الذهب، وتحويله نحو الشرق، وعزل الأندلس عن الدورة التجارية المغربية.

عمل مصالة بن حبوس، بصفته والى تاهرت والمغرب، على مد النفوذ الفاطمى إلى سواحل نكور، وإلى مكناسة، وفاس، وكان عليه أن يعيد سلطان الفاطميين إلى سجلماسة والذى كان قد انتقض بعد خروج الخليفة المهدى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م، حيث ثار أهل سجلماسة على والى المهدى: إبراهيم بن غالب المزاتى، "فقتلوه ومن معه من رجال الشيعى بعد خمسين يومًا"[١]. وأعادوا أمراءهم القدامى من بنى مدرار، وولوا عليهم واسول بن ميمون الذى لقب بالفتح فى ربيع الأول سنة ٢٩٨هـ/ نوفمبر ٩١٠م[٢]، ولما تبين للفاطميين صعوبة حكمها مباشرة عن طريق عامل فاطمى يرجع بالنظر إلى السلطة المركزية، أقروا على سجلماسة الأسرة المدرارية ممثلة فى الأمير المعتز محمد المدرارى، الذى بقى فى الولاية إلى قرب نهاية عهد المهدى، حيث توفى سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م[٣]، واكتفى الفاطميون بتبعية وولاء هؤلاء الأمراء لهم رغم الاختلاف المذهبى. ولعل ذلك يؤكد أن القيادة الفاطمية لم تكن ترتجل قراراتها، بل كانت تمتلك خطة استراتيجية أملتها عليهم ضرورة السيطرة على هذا المركز التجارى الحساس الذى يقع على مسالك تجارة الذهب.

على أن حكومة قرطبة، لم تقف مكتوفة الأيدى أمام أطماع الفاطميين فى المغرب والأندلس، إذ كان لها الأخرى عيون ووسطاء منبثون فى أنحاء المغرب، وساعد هؤلاء فى مهمتهم وجود جاليات أندلسية على طول الساحل المغربى، تتمسك بالعقيدة السنية، شديدة الكراهية للمذهب الشيعى[٤]، هذا فضلا عن قرار عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩م بإعلان نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله أمير المؤمنين[٥]، وأمر بلعن الفاطميين على منابر الأندلس[٦]، ومن الطبيعى أن هذه الخطوة من قبل الناصر لم تجد

---

(١) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٨٣٩.

(٢) نفس المصدر، جـ٢ ص ٨٣٩، وراجع: سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور): تاريخ المغرب العربى، الإسكندرية ١٩٩٠، جـ٣، ص٩١.

(٣) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٨٣٩. وقارون: ابن عذارى: البيان، جـ١، ص١٨٥.

(٤) أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٦٩.

(٥) عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص٥٤.

(٦) أبو حنيفة النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٢٨٥.

ارتياحًا عند الفاطميين، الذين اعتبروا هذا العمل تعديًا على حق من حقوق أئمتهم، يتجلى ذلك من قول الخليفة المعز[١]:".. كما يتسمى دون من سلف من آبائه .. ونحن نقول إنا أهل ذلك دونه ودون سواه، ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه"، كما اهتم الخليفة الناصر بإعداد أسطول بحرى، حتى يصبح قادرًا على مواجهة الأسطول الفاطمى، هذا بالإضافة إلى استيلاء الناصر على بعض المدن الاستراتيجية والتجارية المواجهة لساحل بلاده مثل: سبتة وطنجة ومليلة[٢]، كما عمل الناصر على التحالف مع قبائل البربر ولا سيما قبيلة زناتة، التى عمل على تحريضها، ودفعها إلى قتال صنهاجة حليفة الفاطميين[٣]، يقول السلاوى[٤]: ".. والناصر مُمِدٌّ لمن عجز منهم برجاله، مقوٍ لمن ضعف بماله".

وقد عول الناصر على تشجيع وتأييد جميع الثورات والحركات المعادية للدولة الفاطمية، لم يتردد فى مساندة وتأييد أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الخارجى، الذى ثار ضد الدولة الفاطمية فى سنة ٣٣٢ هـ/ ٤٣ ـ ٩٤٤م، وظلت ثورته مشبوبة، حتى قضى عليها الخليفة المنصور الفاطمى سنة ٣٦ هـ/ ٩٤٨م وقتل صاحبها[٥]، وعلى الرغم من فشل هذه الثورة، إلا أنها تركت آثارًا سيئة على مناطق نفوذ الفاطميين فى المغربين الأوسط والأقصى، فقد عزلت إفريقية عن مناطقها الجنوبية، مما أدى إلى ضعف نشاط مسلك تجارة الذهب عن طريق وارجلان[٦]، هذا فضلاً عن تعاظم نفوذ الأمويين، " حتى ملك الناصر أكثر بلاد المغرب، وبايعته قبائله من زناتة والبربر، وخطب له على منابره من تاهرت إلى طنجة، ما عدا سجلماسة" [٧]، واستمر هذا الوضع طيلة عهد المنصور.

---

(١) نفس المصدر، ص١٦٨.

(٢) البكرى: المسالك، جـ٢، ص ٧٣٥، ص ٧٧٩، ص٧٨٢.

(٣) أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب، ص٦٩، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد الخامس، العدد الأول والثانى ١٩٥٧، ص ٢٠٧.

(٤) السلاوى: الاستقصا، جـ١، ص١٩٦.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٧٩، جـ٨، ص ٤٣٩ ـ ٤٤١، وراجع: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، جـ٣، ص ١٧٤ ـ ١٨٩.

(٦) الحبيب الجنحانى: دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ص٨٤، وراجع كذلك:
Hrbek: The emergence of the Fatmids, PP. 320 J 321.

(٧) ابن خلدون: العبر، جـ٧ ص ٨٨ ، السلاوى: الاستقصا، جـ١، ص١٩٦.

على أن هذا الصراع دخل مرحلة جديدة وحاسمة فى عهد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٢هـ/ ٩٥٢ ـ ٩٧٢م) فقد لمس الخطر السياسى والاقتصادى الذى ضربه الأمويون فى الأندلس حول إفريقية بسيطرتهم على المغرب الأقصى، وبعض مناطق المغرب الأوسط، للحيلولة دون وصول الفاطميين إلى مسالك تجارة الذهب مع بلاد السودان، فكان عليه أن يواجهه مهامًا جسامًا، لإحكام السيطرة على هذه المناطق وعودتها إلى النفوذ الفاطمى، الأمر الذى جعله يعجل بإعداد حملة عسكرية سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٢م، يقودها بنفسه على جبل أوراس وبلاد الزاب والتى انتهت بالقضاء على آخر أوكار المقاومة هناك، "حتى استوفت له أمور البلاد كلها" [١]، ولم يكن غريبًا أن ينتقل هذا الصراع من البر إلى البحر، وقد وقع أول صدام بحرى سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٤م، عندما اعتدى مركب أندلسى كبير على مركب للمعز بالقرب من صقلية، وكان من الطبيعى أن يغضب المعز لجرأة البحريين الأندلسيين، فأمر بإعداد قوات برية بحرية مشتركة يحملها أسطول صقلية، تكون مهمتها متابعة المركب الأندلسى حيثما كان والثأر منه، ولم يكن من العسير على والى صقلية العثور على هذا المركب فى ميناء المرية بجنوب شرق الأندلس، ولم يكتف العسكر المعزى بإحراق المركب، بل نزلوا إلى البر بميناء المرية، فاستولوا على المدينة اجتياحًا، وأحرقوا ما به من المراكب والمخازن، وما فيها من المعدات البحرية وعادوا إلى المهدية سالمين[٢].

وأمام تهديد الخليفة عبد الرحمن الناصر للوجود الفاطمى فى المغرب الأقصى، عول المعز على تجهيز حملة كبرى تربو على عشرين ألف رجل فى سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، بقيادة جوهر الصقلى، ونجح جوهر فى إعادة السيادة الفاطمية على المغربين الأوسط والأقصى[٣]، ثم جعل هدفه الأبعد سجلماسة، وذلك أن أميرها محمد بن الفتح بن ميمون المدرارى، انتزع الإمارة من ابن عمه المنتصر الموالى للفاطميين، وانتهى به الأمر أن ترك مذهب الخوارج الصفرية الذى كان يعتنقه بنو مدرار، ودخل فى السنَّة على مذهب مالك

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج٩ ص ٤٦ ، ابن أبى دينار: المؤنس، ص٧٩.

(٢) القاضى النعمان: المجالس والمسايرات، ص ١٦٤ ـ ١٦٥، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٨، ص ٥١٢ ـ ٥١٣.

(٣) القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٧٠، ابن الأثير: الكامل جـ٨، ص١٢٤.

فى سبيل الدخول إلى دعوة العباسيين، ثم لم يلبث أن اتخذ اللقب الخلافى عندما تسمى بالشاكر لله، وضرب السكة باسمه، والتى عرفت بالشاكرية[١]، ويبدو أن الشاكر لله نبذ طاعة الفاطميين واستقل بحكم سجلماسة منذ سنة ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦م، يرجح ذلك النقش الموجود على الدينار الشاكرى الذى عثر عليه أخيرا فى سجلماسة[٢].

على أن أمير سجلماسة شعر أنه لا طاقة له بجيش جوهر، فلاذ بالفرار إلى بعض حصونه القريبة، بيد أنه وقع فى أسر رجال جوهر فى نفس السنة، وحمله جوهر هو وصاحب فاس فى قفصين على الجمال، قفل بهما راجعًا إلى إفريقية[٣]، بعد غيبة ثلاثين شهرًا قضتها الحملة تجتاح المغرب من أدناه إلى أقصاه، " بعدما دوخ المغرب وخطب لمولاه فى سائر بلاد المغرب، ما عدا سبتة"[٤].

وهكذا قضى جوهر فى المغرب زهاء سنتين ونيف، ثبت فيها أقدام الفاطميين بإخضاع المغرب الأقصى من جديد لنفوذ الفاطميين، ويشير القاضى النعمان بضرب النقود باسم المعز فى سجلماسة بقوله[٥]:".. إن المعز دعا بمال أتاه مما ضرب بمدينة سجلماسة باسمه، ففرقه على من حضر، وقال: تبركوا به، فهذا أول ما ضرب لنا بالموضع الذى فتحه الله علينا". وقد عثر بالفعل على هذه النقود فى الحفريات التى كشفت عن مدينة أودغست[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩، ابن خلدون، جـ٦ ، ص ٢٧٠، ابن أبى دينار: المؤنس، ص٨٠ وقارون ابن عذارى، جـ١، ص ٢٢٢، حيث يذكر أن جوهر قتل أمير سجلماسة، وهذا لا يتفق مع ما أجمعت عليه المصادر المعاصرة ومن بينها " المجالس والمسايرات".

(٢) عثر أخيرًا فى سجلماسة على دينار للأمير المدرارى الشاكر لله، نقش على وجهه: محمد بن الفتح/ لا إله إلا الله وحده/ لا شريك له، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ونقش على الظهر: الإمام الشاكر لله، محمد رسول الله، المتقى لله، بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس وثلاثين وثلثمائة.
راجع : العملات الذهبية الإسلامية (WWW. Islamiccoins. net)وكذلك: ملاحق البحث ص٣٨.

(٣) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٤٨٠، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٥٢٥، ابن أبى دينار: المؤنس، ص٨٠.

(٤) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع السادس، ص٩١ ـ ٩٧، ابن أبى دينار: المؤنس، ص٨٠.

(٥) القاضى النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٢٥٦.

(٦) الحبيب الجنحانى: دراسات فى التاريخ الاقتصادى، ص١٧٣.

وينتهز الزناتيون حلفاء بنى أمية، فرصة خروج الجيش الفاطمى إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩م للقيام بانتفاضة ضد الحكم الفاطمى، محاولين استرجاع سيادتهم على المسالك التجارية، ويستثمر الخليفة المعز الصراع بين زناتة وصنهاجة، فيعتمد على زيرى بن مناد الصنهاجى، ثم يعهد بالأمر عند رحيله إلى مصر لبلكين بن زيرى، ويخرج بعد توديع المعز إلى المغرب الأقصى حيث يبقى بضع سنوات، وعندما يطلب منه الخليفة العزيز بالله سنة ٢٧١هـ/ ٩٨٢م أن يرسل له ألف فارس، يعتذر بتغلب بنى أمية على المغرب الأقصى، وأن الدعاء لهم فيها على المنابر، وأنه قد خرج لمحاربتهم بهؤلاء الرجال[١].

على أية حال سيطر الأمويون على المسلك الغربى بعد حملة بلكيم بن زيرى، وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، إذ أصبح يخضع لنفوذ المرابطين[٢].

يتضح لنا مما سبق أن الجوانب السياسية والعسكرية والمذهبية فى الصراع الفاطمى الأموى والذى استمر أكثر من نصف قرن من الزمان ونيف، كان يكمن وراءها العامل الاقتصادى يؤيد ما ذهبنا إليه السياسة التى اتبعها الفاطميون فى حكم سجلماسة. ولعل الثروة الذهبية الضخمة التى تجمعت فى خزائن الدولة الفاطمية، وأتاحت للمعز سبك الدنانير على شكل الطواحين وحمله على ألفى جمل من إبل زناتة "فاستعظم ذلك الجند والرعية، وصاروا يقفون فى الطرق لرؤية بيت المال المحمول" [٣]، كما تجمعت بقرطبة ثروة ذهبية ضخمة بالر غم من حملات الفاطميين المتكررة للسيطرة على المسلك الغربى، وعزل الأمويين عنه، وتمتعت بلاد الأندلس بالرخاء الاقتصادى، وزادت ثروتها بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٥٠ هـ/ ٩٦١م) حتى لقد بلغ دخل الحكم الثانى

---

(١) ابن عذارى: البيان، جـ١، ص٣٤٠، وراجع كذلك: جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص١٨٤، وكذلك: حسن خضيرى أحمد (الدكتور): علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب، القاهرة ١٩٩٦، ص ٣٨ـ٤٢.

(٢) الحبيب الجنحانى: دراسات، ص١٧٤.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٨، جـ١، ص ١٤٤، إدريس عماد الدين، عيون الأخبار، السبع السادس، ص١٨٤، وراجع: حسن خضيرى : علاقات الفاطميين، ص٣٤.

(٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ/ ٩٦١ ـ ٩٧٦م) ضعف دخل أبيه، وظل ذهب السودان يتدفق عليها من سبتة عبر المغرب الأقصى، مما زاد فى ازدهار الحياة الاقتصادية، على نحو ما حدث فى دولة بنى زيرى فى إفريقية[١].

على أن الأوضاع السياسية لخريطة المغرب والأندلس: طرأت عليها تغيرات عميقة فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلاد، فقد خرج المغرب الأقصى منذ نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى عن نفوذ بنى زيرى خلفاء الفاطميين فى المغرب، وما لبث أن تصدع حكمهم وتقلص ظله فى بداية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وكادت تخرج إفريقية كلها والمغرب الأوسط بعد الهجرة الهلالية، التى أحدثت تبدلات وتغيرات كثيرة، ليس فى خريطة المغرب السياسية فحسب، بل فى ميزان القوى العالمية فى ذلك الوقت[٢]، وعلى الجانب الآخر تضعف الدولة الإسلامية فى الأندلس، فتصبح عاجزة عن التدخل فى شئون المغرب الأقصى، وينتهى الأمر بسقوط الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٢م، إيذانًا ببداية عصر ملوك الطوائف[٣].

امتدت مواطن زناتة فى سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، ما بين غدامس والسوس الأقصى[٤]، وانتشرت عشائرها وبطونها فى المغرب الأوسط، حتى لقد أطلق على هذا الإقليم اسم أرض زناتة[٥]، ونجح خزرون بن فلفل الزناتى فى الاستيلاء على سجلماسة والقضاء على الأسرة الحاكمة من بنى مدرار سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، وبذلك ينتهى ملك بنى مدرار بسجلماسة[٦]، وأصبحت زناته تسيطر مباشرة على أهم مراكز تجارة

---

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٣٢وراجع:
Pekka: **Trans – Saharan Trade**, pp. 124 – 127.

(٢) الحبيب الجنحانى: دراسات فى التاريخ الاقتصادى، ص٩١، وراجع كذلك: حسن خضيرى أحمد: علاقات الفاطميين، ص٨١.

(٣) أحمد مختار العبادى: دراسات، ص٨٨ ـ ٨٩.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٥) نفس المصدر، ص ٢٥٧.

(٦) ابن عذارى: البيان، جـ١، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

الصحراء، الواقعة على مسالك تجارة الذهب، وبقيت صنهاجة تقوم بدور حراسة القوافل فى منطقتها الشاسعة، الممتدة من غدامس شرقًا إلى المحيط الأطلسى غربًا، ومن جبال درن شمالاً حتى منحنى النيجر جنوبًا، حتى "صاروا ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة"[١]، ولم تكن صنهاجة فى الواقع مجرد قبيلة، بل كانت شعبًا عظيمًا، يتألف من قبائل، قيل إنها بلغت السبعين عددًا، وانتشرت فوق صفحة المغرب انتشارًا بعيد المدى[٢].

على أن الوضع السياسى فى بلاد المغرب، جعل صنهاجة تطمح فى تجاوز دور الوساطة التجارية فى منطقة صحراوية، لتصبح لها السيادة الكاملة فى المنطقة العمرانية فى الشمال، وعلى شبكة المسالك التى تربط بين مدنها وقراها. إن هذا الأمل يتحقق إثر ظهور دعوة المرابطين فى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى[٣]، وقامت هذه الدعوة على التحالف بين لمتونة، وجدالة، ومسوفة، ولمطة. ولعل هذا التحالف كان يمثل تجسيدًا حيًا لواقع المصالح الاقتصادية، التى تربط بين مختلف المناطق الاقتصادية ومسالك التجارة[٤]. يقول ابن خلدون[٥]: "إن القبيل الواحد، وإن كانت فيه بيوتات متفرقة، وعصبيات متعددة، فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها، تغلبها وتستتبعها، وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى".

على أية حال سارعت صنهاجة إلى جمع شتات أمرها وتوحيد قواها، بفضل الجهود التى بذلتها قبيلة لمتونة القوية، التى كانت تحتكر زعامة صنهاجة الصحراء منذ وقت بعيد، "فالملك والدولة إنما يحصل بالقبيل والعصبية"[٦]، ويبدو أن سياسة هذا التحالف كانت تقضى بمواصلة الجهود التى بذلت منذ إسلام صنهاجة فى مدافعة ممالك السودان والمحافظة على طرق التجارة، يؤيد ما ذهبنا إليه أن أول نقود ظهرت للمرابطين ضربت

(١) ابن خلدون: العبر، جـ٦ـ ص ٢٧١.
(٢) حسن أحمد محمود (الدكتور): قيام دولة المرابطين، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣٦.
(٣) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ص٨٨.
(٤) ناعمى مصطفى: الصحراء، ص٧٨.
(٥) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٩٩.
(٦) نفس المصدر، ص١٠٨.

بمدينة سجلماسة[١]، هذه المدينة التى كانت هدفًا للمرابطين منذ اللحظات الأولى لقيام دولتهم، وأسهب المؤرخون[٢] فى المعارك العديدة التى دارت رحاها على أرض سجلماسة بين المرابطين وزناتة. هذا فضلاً عن المقاومة الباسلة التى أبداها الزناتيون فى دفاعهم عن سجلماسة، وكادت سجلماسة تخرج من يد المرابطين، لولا أن تداركوا أمرهم، وجمعوا صفوفهم وحملوا حملة رجل واحد على الزناتيين. ولعل إصرار المرابطين على فتح هذه المدينة، يفسر لنا أهمية الدور الاستراتيجى الذى يلعبه هذا المركز التجارى الحساس فى قيام كيانهم السياسى ودولتهم الفتية.

على أن الدولة المرابطية، وإن كانت قامت على أساس العصبية وتحالف قبائلها، فإنها فى الوقت نفسه رفعت شعار مذهب مالك والعودة إلى تعاليم الدين الإسلامى الصحيح، وقد تكتب السيادة لقبيلة بسبب دعوة دينية تنشرها بين القبائل الأخرى. وقد فطن لذلك ابن خلدون[٣]، بقوله: إن الدعوة الدينية تزيد الدولة فى أصلها قوة على قوة العصبية التى كانت لها من عددها"، ولكن يجب ألا نغفل أهمية العامل الاقتصادى، بل لا نكون مغالين

---

(١) عثر على بعض الدنانير المرابطية التى ضربت فى سجلماسة، ويرجع تاريخها إلى السنوات (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م)، (٤٧١هـ/ ١٠٧٩م) فى عهد أبى بكر بن عمر أول أمراء المرابطين، وكذلك دنانير يرجع تاريخها إلى السنوات (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)، (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) فى عهد الأمير يوسف بن تاشفين، هذا فضلا عن دينار ضرب فى سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) فى عهد الأمير على بن يوسف.
راجع : العملات الذهبية الإسلامية (www.Islamiccoins.net)، وكذلك:

* Lavoix, H: **Catalogue des monnaies Muslmanes de La Bibliotheque Nationales** de Paris DCCXCI, pp 550 – 555.

* Michale Michiner: **Oriental Coins and their Values** (The World of Islam) London, 1997, pp. 99 – 100.

وانظر كذلك ملاحق البحث، ص٣٩ .

(٢) ابن أبى زرع، أبو الحسن على بن عبد الله (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م): الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٣، ص١٢٨، النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) : نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق الدكتور حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، جـ ٢٤، ص ٢٦١، يذكر النويرى أن فتح سجلماسة كان فى سنة ٤٥٣ هـ، ويذكر ابن خلدون أن فتحها بين سنتى ٤٤٥ ، ٤٤٧ هـ، جـ٧ ، ص٥٢، ويرجح أستاذنا الدكتور حسن أحمد محمود السنة الأخيرة (٤٤٧هـ) قيام دولة المرابطين ، ص ١٩٢.
Enc. of Islam, Art (Sijilmasa).

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص١١١.

إذا قلنا إن الدوافع الاقتصادية كانت ذات أثر بالغ فى توجيه غزوات المرابطين واستنهاض هممهم لفتح بلاد المغرب، وتثبيت أركان الدولة حتى غدت إمبراطورية مترامية الأطراف، فى عهد أميرها يوسف ابن تاشفين (ت٤٦٣ ـ ٥٠٠ هـ/ ١٠٧٠ ـ ١١٠٦م)[١]، حيث امتدت من عاصمتهم مراكش فى المغرب الأقصى، إلى مدينة الجزائر شرقًا، وبلاد السنغال جنوبًا، هذا فضلاً عن الأندلس، ويصف ابن أبى دينار [٢] مُلك يوسف بن تاشفين بقوله: "ملك جزيرة الأندلس والسودان والمغرب إلى جزائر بنى مزغناى، ودانت له البلاد، وخطب له على ألف وتسعمائة منبر"، وترك لابنه على بن يوسف (٥٠٠ ـ ٥٣٧ هـ/ ١١٠٦ ـ ١١٤٣م) من بعده، دولة قوية عريضة الثراء[٣]، "وملك من البلاد ما لم يملكه والده، لأنه وجد البلاد هادئة، والأموال وافدة، والملك قد توطأ، والأمور قد استقامت"[٤].

وإذا كان المرابطون قد استطاعوا أن ينشئوا أهم عملة دولية فى أيامهم، فقد كان ذلك بفضل مراقبتهم للمحورين التجاريين، الواقعة عليهما المراكز التجارية الهامة، ولا سيما سجلماسة، وتامدلت، وكلاهما ينتهى إلى المراكز القريبة من مناجم الذهب، فكانت الدنانير المرابطية غاية فى الجودة، واكتسبت سمعة عالمية، وأصبحت وسيلة التعامل الدولى، وكان عليها طلب فى كافة بلدان حوض البحر المتوسط، حتى أن باحثًا حديثًا[٥]، أطلق عليها اسم "دولار القرون الوسطى". ومن هنا يمكن القول إن المرحلة الكبرى للذهب الإسلامى، لم تبدأ فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى، بل على العكس من ذلك، فهى تبدأ فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى. أما مصدر هذا الذهب فهو بلاد السودان، مارًا بسجلماسة، ليصل إلى الأندلس، ثم إلى بلاد أوربا[٦].

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٥٦، ابن عذارى: البيان، جـ٤، ص٤٥، وراجع:

* Pekka: **Trans – Saharan Trade**, p. 124.

* Boville: **The Golden Trade**, p. 78.

(٢) ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٣١.

(٣) المراكشى: المعجب، ص٢٧١، ابن أبى دينار: المؤنس، ص١٣٣، وقارن النويرى، ص١٣٣، نهاية الأرب، جـ٢٤، ص٢٧٥، حيث يذكر أن تاريخ وفاة على بن يوسف سنة ٥٣٥ هـ.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٥٧.

(5)Goitein: **Letters of Medieval Jewish Traders**, p. 325, n.5.

(٦) الحبيب الجنحانى: دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ص١٠١ وراجع كذلك:

A, Bathely: Relations, **between different regions of Africa**, p.738.

وهكذا كانت سجلماسة بحكم موقعها المتميز، وبنيتها التجارية، من أهم مراكز تجارة الصحراء المغربية، وغدت نقطة انطلاق الأحداث السياسية، وقاعدة لقيام الكيانات السياسية، وأداة وصل فعالة، ربطت بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها، بفضل تجارتها الكثيفة، وعن طريقها تأكدت إخوة عشرات القبائل، التى لم تر فى حدود السياسيين الحمراء إلا خطوطًا وهمية، ترفضها طبيعة معيشتهم، وتتعارض مع وحدتهم العرقية والحضارية، كما كانت منارة علم، وسراج نور فى نشرها للدين الإسلامى فى جنوب القارة الإفريقية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م): الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٧٩، جـ٨.
- إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله القرشى (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م): عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤م.
- الإدريسى ، الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤م): نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٤، ٢ جزء.
- الاصطخرى أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١م): المسالك والممالك، طبعة أولى مصر، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- البكرى، أبو عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) : كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، وأندرى فيرى تونس ١٩٩٢، ٢ جزء.
- البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م): الجماهر فى معرفة الجواهر، طبعة أولى، حيدر أباد ١٣٥٥هـ.
- ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن على (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، الجزائر ١٩٢٧م.
- الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٨٦٦ هـ/ ١٤٦١م): كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).

- ابن حيان: أبو مروان (ت٤٩٦ هـ/ ١١٠٢م): المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت ١٩٨٣م.
- ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالى عام ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م): نشر دى غويه، ليدن ١٨٨٩م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، (دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١م)، دار الفكر اللبنانى ١٩٨٨م.
- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية (د.ت).
- الخوارزمى: محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م): مفاتيح العلوم، القاهرة (د.ت).
- ابن أبى دينار، أبو عبد الله محمد أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت ١١١٠ هـ/ ١٦٩٨ م): المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، طبعة ثالثة، بيروت ١٩٩٣م.
- ابن أبى زرع، أبو الحسن على بن عبد الله (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- ابن سعيد المغربى، على بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠م.
- السلاوى، أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدى المؤلف، جعفر ومحمد، الدار البيضاء ١٩٥٤م.
- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- المراكشى، عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٦٦م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ المقدسى، أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
ـ المقريزى، تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، جـ١، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٨، ١٩٦٧م.
ـ المقريزى: المقفى الكبير، ترجمة المهدى عبيد الله، تحقيق محمد اليعلاوى، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٥٢ ، ١٩٨٦م.
ـ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار، لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى، نشر وتحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية ١٩٨٥م.
ـ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها، نشر وترجمة لافوينتى الكنترا، مدريد ١٨٦٧م.
ـ النعمان، القاضى أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربى (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م): المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوى، منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٨م.
ـ النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣١م): نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٤، تحقيق د. حسين نصار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٣م.
ـ ابن الوزان، الحسن بن محمد الوزان (ت حوالى ١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، الرباط ١٩٨٠م، ٢ جزء.
ـ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٨٤م.
ـ اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): كتاب البلدان ملحق بالأعلاق النفسية لابن رستة، ليدن ١٨٩١م.

ثانيًا: المراجع العربية

ـ إبراهيم حركات (الدكتور): "دور الصحراء الإفريقية فى التبادل والتسويق"، مجلة البحوث التاريخية، الجماهيرية الليبية، السنة الثالثة، العدد الأول يناير ١٩٨١.
ـ أحمد مختار العبادى (الدكتور)"سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس" صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد الأول والثانى ١٩٥٧.

- أحمد مختار العبادى (الدكتور) : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٦٧.
- آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده، القاهرة ١٩٤١، ٢ جزء.
- أرشيبا لدلويس: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة ١٩٦٠.
- جواتين: دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصى، بيروت ١٩٨٠.
- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى، ترجمة محمد غبد الحميد هيكل، مراجعة الدكتور مصطفى أبو ضيف، الإسكندرية ١٩٩١.
- الحبيب الجنحانى (الدكتور): دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للمغرب الإسلامى، طبعة ثانية، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٦.
- حسن أحمد محمود (الدكتور): قيام دولة المرابطين ـ صفحة مجيدة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٥٧.
- حسن خضيرى أحمد (الدكتور): علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦.
- حسين مؤنس (الدكتور): معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ١٩٨٠.
- حسين مؤنس (الدكتور): ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف القاهرة.
- رينهرت دوزى: المسلمون فى الأندلس، ترجمة وتعليق د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، جـ١.
- سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور): تاريخ المغرب العربى، الإسكندرية ١٩٩٠، جـ٣.
- محمد جمال الدين سرور (الدكتور): تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥.
- محمود إسماعيل عبد الرازق (الدكتور): الخوارج فى المغرب الإسلامى، القاهرة ١٩٨٦.
- ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنه، الرباط ١٩٨٨.

ثالثًا : المراجع الأجنبية

* A.Bathily., "Relations between the different regions of Africa" in M. El Fasi (editor), General History of Arfica, III, Africa from the seveth to the eleventh century, California, 1981, (PP.734 – 749).
* Binger, "Les Routes Commercials Du Soudan Occidental," , Pairs, 1886.
* Boville, E. W.: The Golden Trade of the Morrs, Oxford Univeristy Press, 1968.
* Encyclopeadia of Islam.
* Fournel, H.: Les Berbers Etudes sur La coquette de L,Afrique parles Arabes, Paris, 1881.
* Hrbek, I.: "The emergence of the Fatimids"in M. Elfasis (editor) , General History of Africa, III: Africa from the seveht to the Eleventh century, Heinemann, Unesco, 1981, (pp., 314 - 335).
* Lavoix, H.: Catalogue des monnaies Musulamanes de Bibliotheque Nationales de Paris DCCXCI.

Levi Provencal: Histore de L'Espagne musulmane de Bibliotheque
Nichale Mitchiner: Oriental Coins and Their values (the World of Islam). London 1977.

Pekka Mithciner: "Trans – Saharan Trade and the West African Discovery of the Mediterraean world (The third Nordic conference on Middle Eastrn studiers, Finland, 1995.

* S.D. Goitein: Letters of Medieval Jewish Traders, Princecton Univeristy press, 1973.
* .....: A Mediterranean Society, VI, California Press,1967.
* .....: The Cairo Geniza as a source for te History of Muslim Civilization (studia Isalamica, V. III. 1955).
* www. Islamiccoins, net/index. Php.

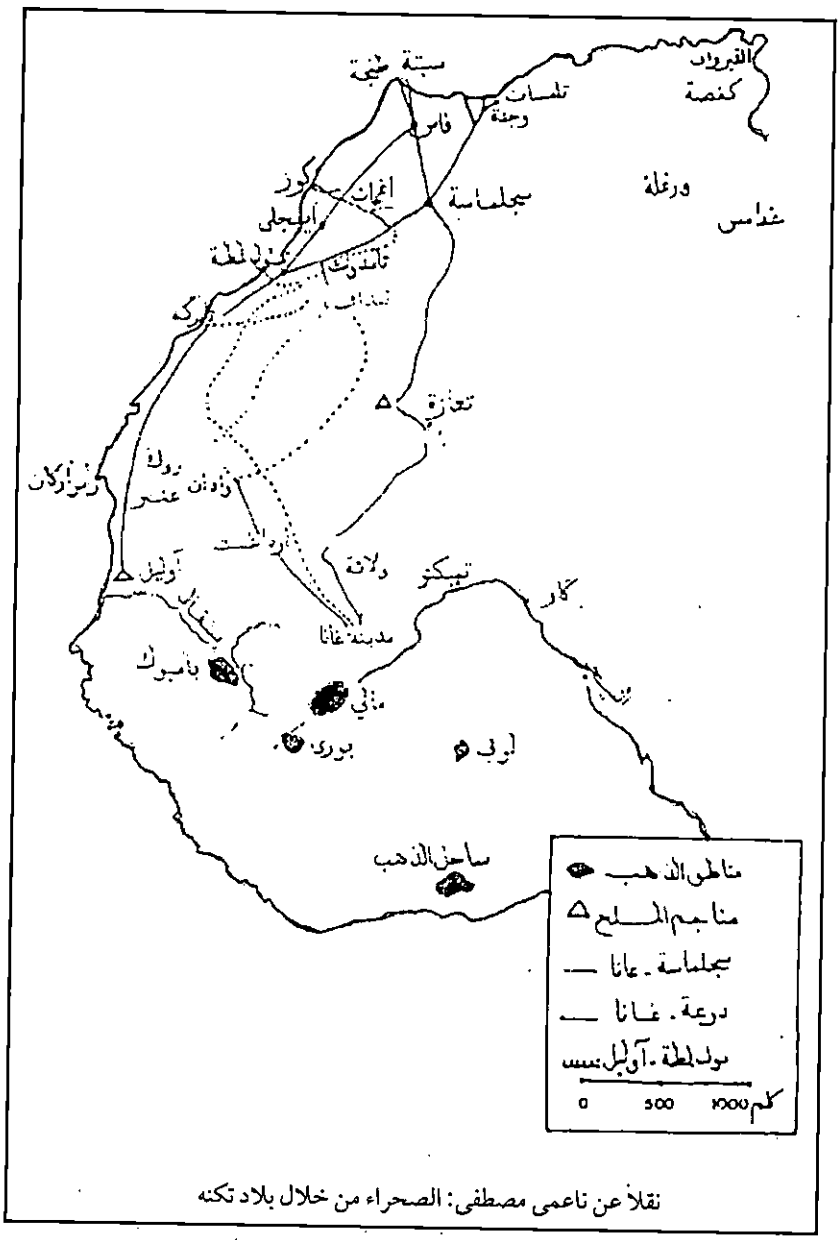

نقلاً عن ناعمى مصطفى: الصحراء من خلال بلاد تكنه

شكل (١)

خريطة تبين أهم الطرق التجارية خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة العاشر والحادى عشر للميلاد

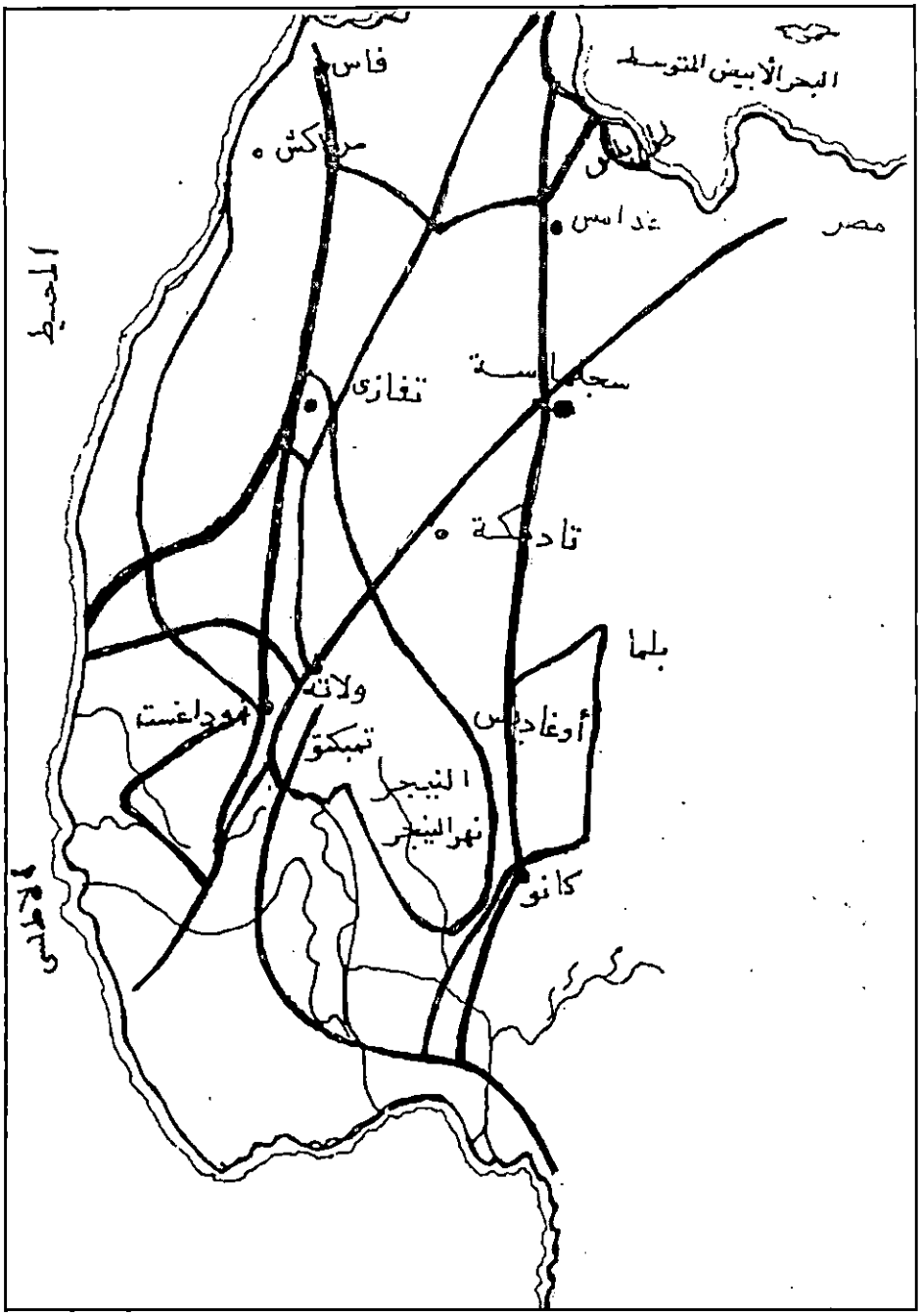

شكل (٢)

خريطة تبين طرق التجارة فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى
الحادى عشر الميلادى

Boville, The Golden Trade of The Moors

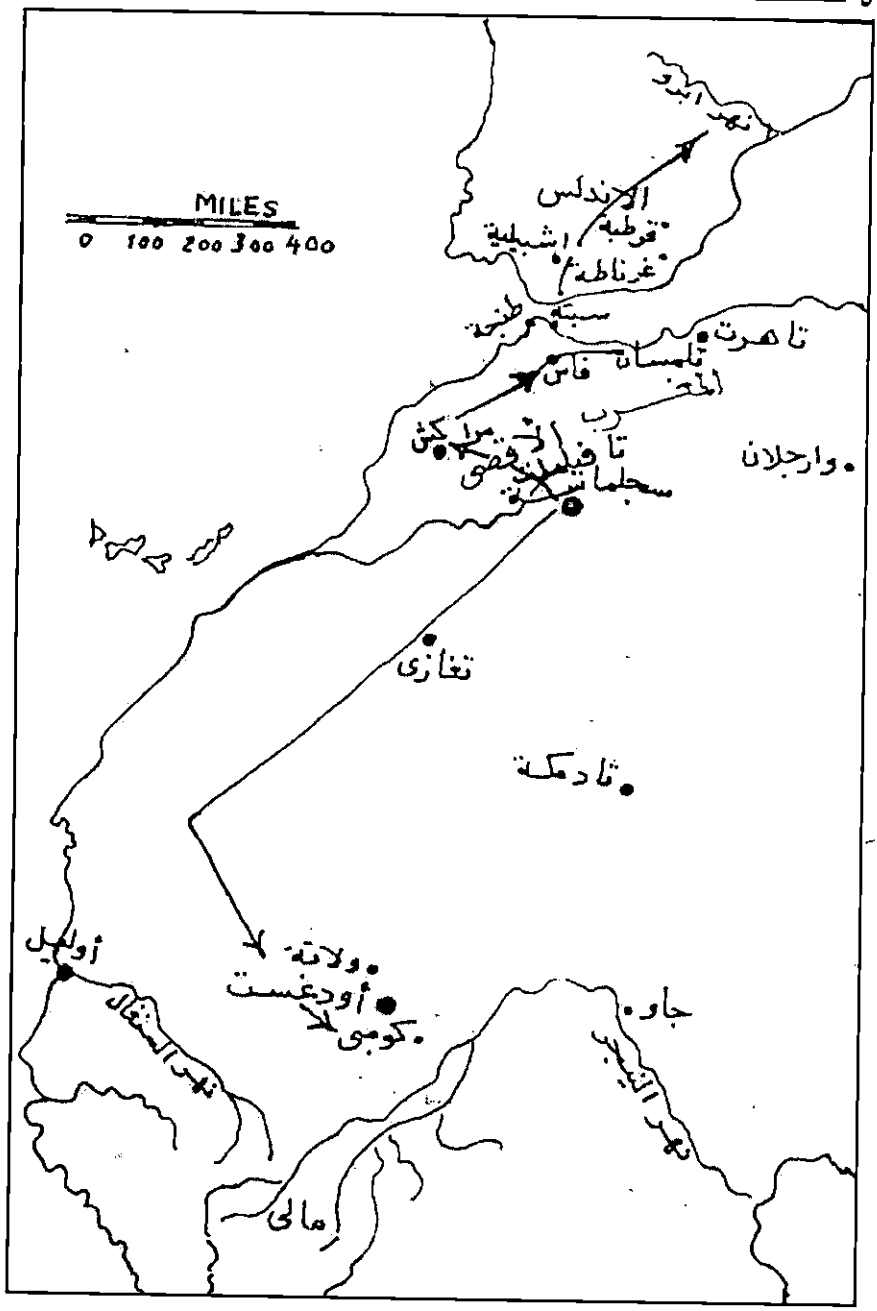

شكل (٢)

خريطة تبين طرق التجارة فى عصر دولة المرابطين

Saharan Trade and The West Affrican–Pekka, Trans

العهد: محمد الشاكر لله

الوجـــه

المركز: محمد / لا إله إلا / الله وحده/ لا شريك له/ بن الفتح

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

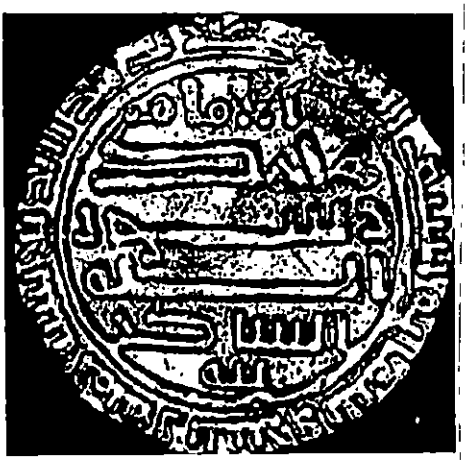

الظهـــر

المركز: الإمام / محمد / رسول / الله / المتقى لله/ الشاكر/ لله

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار سنة خمس وثلثين وثلثمائة.

القطر: ١,٩ سم

لوحة (١)

دينار مدراري ضرب في سجلماسة سنة ٣٣٥ هـ

www.Islamiccoins.net/index.php

العهد: أبو بكر عمر اللمتونى

الوجـــــــه

المركز: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ الأمير أبو بكر/ بن عمر

الهامش: ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو من الخاسرين

الظهـــــــر

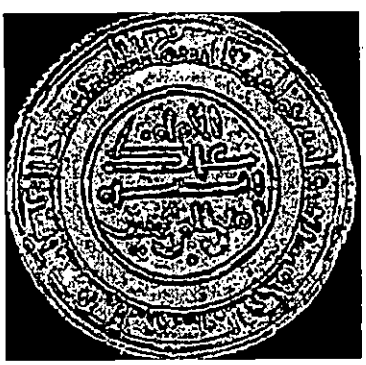

المركز: الإمام/ عبد / الله / أمير المؤمنين

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

القطر: ٤ , ٢سم

القطر: ٩ , ١ سم

لوحة (٢)

دينار مرابطى ضرب سجلماسة سنة ٤٧١ هـ

www.Islamiccoins.net/index.php

العهد: يوسف بن تاشفين

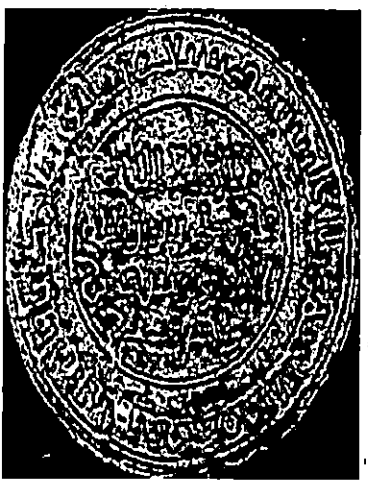

الوجـــــــه

المركز: لا إله إلا الله/ محمد رسول الله/ الأمير يوسف بن/ تاشفين

الهامش: ومن يبتغ غير الإسلام دينا.....

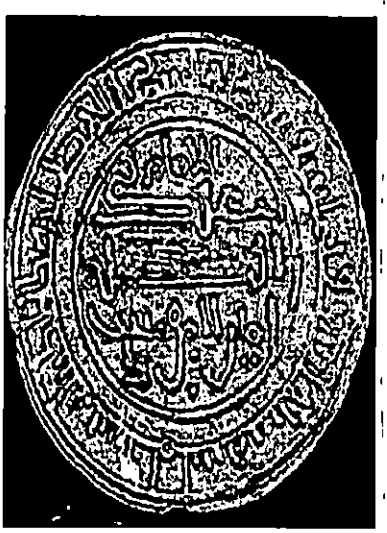

الظهـــــــر

المركز: الإمام/ عبد / الله / أمير المؤمنين

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسة سنة أربع وثمنين وأربعمائة

القطر: ٤ , ٢سم

القطر: ٥ , ٢ سم

لوحة (٣)

دينار مرابطى ضرب سجلماسة سنة ٤٨٤ هـ

www.Islamiccoins.net/index.php

* * *